

وحضر منهم فريد السعد وفكتور خياط وانيس نصر والشيخ عبد الرحمن مراد والياس كوسا واحمد ابو زيد وجورج معمر، فاكشفوا ان اليهود قد طبعوا الشروط السابقة وانهم يرفضون تعديل كلمة واحدة، فطلب الوفد العربي اذ ذاك امهاله حتى الساعة السادسة والنصف مساء، وحينذاك قال الجنرال البريطاني بأنه اذا لم توقع هذه الشروط حتى الساعة السادسة والنصف مساء فانه لن يكون مسؤولاً عن ذبح آلاف العرب. عاد الوفد الى منزل فيكتور خياط حيث كان العرب مجتمعين، فأطلعهم الوفد على ما حصل، فرفض المجتمعون تلك الشروط، وانتهى الاجتماع. وسقطت حيفا في اليوم التالي، في الثاني والعشرين من نيسان (ابريل). (٢٤١)

لم يكن للجنة العسكرية اي وجود عسكري في الدفاع عن حيفا. كان هناك اثر محدود لجنود الجيش الاردني الذي رابطت سرستان منه في حي النبي شعنان، اذ على الرغم من تبعية هاتين السريتين للجيش البريطاني، فان جنودهما وقفوا مع اخوانهم العرب، ولكنهم اضطروا الى الانسحاب بعد ان طلب اليهود من الجيش البريطاني ذلك (٢٤٢). فاستمرت مهمة الدفاع عن مرفأ فلسطين الاول على اكتاف مئات الشباب الذين لا يملكون سوى البنادق والقنابل اليدوية. وهذا، بينما الجيش البريطاني ينسحب من اماكنه في المدينة ويغليها غدرا، وبينما قائد الحامية المسؤول يغادرها «من اجل العودة بالسلاح»، وبينما مدفعية الهاغاناه تفتح مدافعها على الاحياء الآمنة، وازاء هذا الواقع المرير يرفض سكان حيفا الشرفاء الرضوخ لشروط الهدنة القاسية، ويعرضون مدينتهم واطفالهم للقصف الوحشي المستمر، وللهجرة الدامية، خوفا من اتهامهم بالخيانة. (٢٤٣)

٥ - سقوط يافا، ٢٩ نيسان (ابريل)

في بداية القتال (الذي ابتدأ اثر صدور قرار التقسيم) عرض الادون اسرائيل روكاخ رئيس بلدية تل ابيب على الدكتور يوسف هيكل رئيس بلدية يافا جعل المدينة مفتوحة، فرفضت الهيئة العربية الطلب (٢٤٤)، وقرر اهل المدينة الدفاع عن مدينتهم المحاطة بالمستعمرات اليهودية من ثلاث جهات، ولا يصلها مع اقرب العرب اليها سوى ممر ضيق يؤدي الى قرية يازور، ويقع هذا الممر تحت سيطرة مستعمرة

(٢٤١) محمد عمر الخطيب، من اثر النكبة، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢٤٢) هاشم السبع، ذكريات صحفي مضطهد، الجزء الأول، ص ١٥٣.

(٢٤٣) اعتمدنا في مصادرتنا حول سقوط المدن الفلسطينية بالذات على المصادر العربية في الدرجة الأولى، لأن الهدف الرئيسي من هذا الموضوع هو مسؤولية القيادة العربية، واعترافات الزعماء والقادة انفسهم، وكذلك مؤلفات المؤرخين الشهود لها الأولوية، إلا أنه يجب الإشارة الى أن المصادر الصهيونية والمصادر البريطانية مليئة بالوقائع، وكذلك مليئة بالمغالطات التي لم نتعرض لها لأنها خارجة عن البحث، وأما دراسة الحرب الفلسطينية بشكل عام ومفصل، فهي لا تتكامل إلا بدراسة مقارنة بين مصادر الفرقاء الثلاثة.

(٢٤٤) عارف العارف، النكبة: بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٢٢٨.

مكفا اسرائيل.

دافع عن يافا بالإضافة الى شبابها من فرقة التدمير ومن منظمة الشباب والاخوان المسلمين عدد من الحجازيين واليمنيين الذين كانوا يسكنون يافا قبل القتال، ثم جاءها من الخارج مصريون وعراقيون ومغاربة ويوغسلافيون، وقد دافع اليوغسلافيون ببسالة، الا ان تعدد الجنسيات واختلاف التدريب والمستويات، كان مما يحتاج الى قيادة عسكرية قوية وحازمة، وهذا بالذات ما افتقدته حامية يافا. وقد تنبه الى هذا النقص اول قائد عسكري عينته اللجنة العسكرية وهو الرئيس عبد الوهاب الشيخ علي احد قادة ثورة الكيلاني في العراق، فحاول اقناع الزعماء المحليين وكذلك اللجنة العسكرية بضرورة ارسال المناضلين الى معسكر قطنا لتدريبهم بصورة افضل، ولما فشل في اقناعهم تخلى عن مهمته (٢٤٥). وارسلت اللجنة العسكرية عادل نجم الدين قائدا ثانيا، فكان اول عمل قام به ان استبدل جميع المسؤولين عن الدفاع الذين عينتهم اللجنة القومية برجاله، فابتدأت الخلافات بينه وبين رجال المدينة. (٢٤٦)

خضعت حامية يافا طوال الاشهر الاخيرة لاشراف مباشر من اللجنة العسكرية وجيش الانقاذ من الناحية الادارية، كما خضعت لقوات الجهاد المقدس من الناحية العسكرية، فقد كانت تقع في منطقة القائد حسن سلامة، وعندما احتدم القتال في الايام الاخيرة انسحبت منها قيادة الجهاد المقدس، وقيل ان السبب كان اناطة مهمة الدفاع عن المدينة بجيش الانقاذ، وفي الوقت نفسه لم يلب قائد جيش الانقاذ فوزي القاوقجي طلب طه الهاشمي بالتوجه نحو يافا، واكتفى بأن ارسل ميشيل العيسى بالنيابة عنه. (٢٤٧)

في العشرين من نيسان (ابريل) انقطعت المواصلات بين يافا والخارج، وفي الخامس والعشرين اخذ اليهود يطلقون قنابلهم على المدينة ليل نهار، وفي الليلة الاخيرة في الثامن والعشرين- هجموا على تل الریش والمنشية فارتدوا خاسرين عن تل الریش، ولكنهم تمكنوا من احتلال حي المنشية، وما كان ممكنا لحامية المدينة ان تصمد بمفردها اكثر، فأرسلت قيادتها ليلة الهجوم الكبير احد كبار مناضليها الشيخ حسن حسونة الى قيادة الانقاذ يلح في طلب النجدة، وعندئذ، جاءت النجدة بقيادة الرئيس ميشيل العيسى، وقد تمكنت من دخول المدينة في مدرعات الانقاذ. ووصلت معها قوة مدفعية رابطت في يازور وبيت دجن وأخذت تطلق مدافعها على تل ابيب حتى اسكنت مدفعية اليهود وتمكنت من ايقاف الهجوم على يافا. الا ان المدفعية اكتفت بهذا القدر ولم تقم بأي عمل آخر، فقد اعتذرت لوفد من مناضلي قرية سلمة عن حماية

(٢٤٥) عارف العارف، النكبة: بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٢٣٨ - ٢٣٩، ٢٤٤.

(٢٤٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٢٤٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.